

فترى من هذا اثنان منزلة هذا الكتاب وبذل العناية في تعميم فوائده في طبعه اذا تمت اجزاؤه . ومن الغريب ان من هذا الكتاب نسختين في دار الكتب الخديوية وكل نسخة منهما تحوى الجزء الاول والثى عددها ٧٦٩٧ ثامه والثى عددها ٧٦٩٨ ناقصة الاخر لكن فهرست الكتب المذكورة لم تذكر سنة كتابتهما . ولعل ذلك ناجم من اهمال التاريخ فيهما . وبهذا القدر كفاية .

التشبيات العامة

اصبحت اللغة العربية تضم بين دفتيها امماً شتى متباعدة في كل صقع: من اقاصى الهند وما ليزيا شرقاً ، الى اقصى بلاد الغرب وبحر الادرياتيک غرباً ، لابل تعدت عباب الاقيانوس ، ونثرت بذورها الحية في اميركا ، فاصبحت موضوعاً من المواضيع التى تستحق البحث ؛ لاسيما وان اللغة خزانه تكثر تحت اغلاقها آمار الامة وافكارها ، ولولا تقييد خواطر الامم بالاخبار ، وتدوينها في الكتب التى هى نسيلة لغتهم اضاعت الامم كلها باسرها ، فهى اوسع عيية لاخلاق الامم ومعارفها ، واعدل شاهد على الناقص والوافر من الناطقين بها .

نرى صفاً من العلماء قد واصلوا الخطى ، واجهدوا دقائق الدماغ ، تفكراً وسعياً ورآء العلوم الطبيعية ام الاختراعات الحديثة ، وطلباً لمصادر القوة ، وتقريباً لاسباب المعيشة ونسبيلاً للنقل ، وتخفيفاً للاتقال ؛ ونرى امامهم صفأ آخر ليس بالقليل يقتش اعماق الصخور ، وينقب في اجواف الكهوف ، عن كلمة من لغة الامم البائدة ، او عن سطر من اسفارها ، طلباً لتوسيع المدارك واختباراً لحالات الامم البائدة . وتصفحاً لآخبارها وآمارها من اخلاق وعلوم وعادات .

على ان علماء هذا اليوم لم يوجهوا انظارهم الى ما تقدم عهده من الامم المهلكة المنقرضة ، ولغاتها ، وآدابها ، وتاريخها ، بل حوّلوا ايضاً الى لغات اقوام هذا العهد الحية ، واخذت تمارضها بما سبق مثاله منها . لتعرف اسرار

الغابرين من وقوفها على دخائل المعاصرين . فهض لهذه الغاية من جميع
الائم قوم من اهل السى والاقدام ، ونشأوا كنانة وسهم وراء تحقيق هذه
الامنية ، ففازوا بالسهم الملى منها ؟ وهانحن اولاء فقتى آثارهم فى وضع حجر
فى اساس لغتنا الشائعة العامية ، تلك التى اختصم فى امرها اقلام لله من
الكتاب ، تختلف ارآء اصحابها بعضها عن بعض . فقوم يظن انها كانت قبل
الاسلام أسيرة خدرها قد اشتبكت على حجلتها الاطناب ، فماشت بعيدة عن
عوامل التحت والتجريف ، نائية عن قواعل القلب والتصحيح ؛ بل اصبحت
فى منحنى لا يصل اليه التغير ، ولا يتطرق اليه الفساد . كيف لا وهى لغة
نشأت بين قوم لم يألفوا الا البهائم والقفسار ؛ ولم يعرفوا سوى المغاور
والكهوف من الامصار ، حتى قال قائلهم : (ليس وراء عبادان قرية) .
ولهذا قال اصحاب هذا الحزب ان اللغة العامية ليست واللغة الفصيحة
بتوأم ، بل هى اخت صغيرة لها ، نشأت بعد ان قطعت اختها البكر نصاباً
من العمر او مئين من السنين .

وهناك حزب يرى انها رضيعتنا لبان ، نشأتا فى مهد واحد ، وترعرعنا فى
حضن واحد ، وان اللغة العامية برأسها قديمة بقدم اللغة الفصحى .

وربما ينضم الى الحزبين حزب معارض وهذا صوته : ان اللغة العامية
ان اريد بها نتائج التجريف والقلب والتصحيح فهى قديمة لوجودها فى لغة
الناطقين بالضاد منذ الزمن الاول ، ولانه لا يمكن للغات كلها ان تخضع لقانون
عام ترسف بقيوده ، وليس غرض الناطق الا ما يبدل على المقصود ؛ فيردد ما يخف
على الشفاه ، ويسهل على الاسان ، فيضطر حينئذ الى التصحيح والتجريف ؛
وحسبنا شاهداً على ذلك ان اللغة العامية فى الاول كانت مقصورة على النادر
والشاذ ، ثم تمت هذا النمو المدهش ؛ ولولا ان خطه البحث هنا اضيق من
سم الحياط ، لمردنا عليك ادلة جمة مقنعة . وان اريد بالعامية ما اشتملت
على الدخيل ، وما حط بفنائها من النزول ، فهى ليست بقديمة ككاهومذهب
الحزب الاول والشواهد هى أدلتهم .

ولقد تتبع الباحثون عن لغتنا الفصحى ، فكانت نتيجة استقراهم قوانين

ونواميس قد عمت مفرداتها ومركباتها ، فادعوها بمجسّدات ضخمة ، هي المعاجم وكتب النحو والنصرف واسفار المعاني والبيان والبديع ؛ ولوقيض للغتنا العامة نقاب يستقرى كلماتها ، وينقب عن دقائقها ، لعرف ان في الفرع ما في الاصل ، بل وزيادة . ولا يلبث ان يرجع بمثل الحفائب من تلك النواميس الوضعية . فان من صرف ان تلك القوانين ليست بالطبيعية ولا العقلية ولا يمكن التمسك منها بل هي وضعية ناتجة عن قياس : كبراه الاستقراء ، وصغراه الاغلب ، آمن بان لغتنا العامة قابلة للخضوع لتلك القوانين عينها . اما الاصراب فلا يستطاع ادخاله فيها كما هو في اختها لان السكون سائد عليها فلا تجد حركة في آخر كلمة منها ، ولكن النحو مستطاع لمعرفة الفاعل والمفعول وجملة من مسائل النحو بطريقة اخرى ؛ عسانا ان نطرق موضوعها بعد البحث والتنقيب . واما البديع فهو باغلب انواعه موجود فيها كالجناس والانسجام والاقتراس والاستعارة والتلميح والتشبيه الذي هو موضوع البحث .

فالتشبيه ، وبعبارة اضبط : القياس او المقارنة موجود في لغتنا العامة ووجوده في اختها وسأفرغ الوسع في رسم التشبيهات بنصها ومنطوقها ؛ ولا انرض للتشبيهات المبذولة فانها لاتصلح لان تكون غذاء للفكر ، ولا مودداً للاقلام ؛ وانما اذكر الشائئة منها ، والجارية مجرى المثل ؛ وانت تعلم الفرق بين التشابيه والمثل . فائتل توقفي ، وهي ليست بتوقفية ، وربما التفتينا على مادة البحث بصاحب الامثال العامة وافترقنا بسلام . وبمد هذا التمهيد اقول :

ادوات التشبيه في لغتنا العراقية العامة ثلاث : (مثل) (وجنه) وبالجميم المثلثة الفارسية ونون مفتوحة وهاء ساكنة ؛ اصلها كانه وقد اعتاد بعض العراقيين قلب الكاف جيماً كما مر الكلام عنه في هذه المجلة ، والاداة الثالثة المصدر المدخول عليه اداة تشبيه محذوفة . فاذا علمت ذلك اذكر لك الآن ما يقع في حفظي من التشابيه ، فمنها اقوالهم :

(مثل الزبيك لا يطير بعيد ، ولا ينلزم بالايدي)

الزبيك كثير الاضطراب ، منه ما يستقي من معدنه ، ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية ؛ واصل اللفظة زبيق ، والعامة تبدل القاف كافاً فارسية مثانة كما مر الكلام

عنها في غير هذا الموطن ؛ وتبدل الهمزة ياء كما في سائل ومائل فتقول فيهما (سائل ومائل) والزئبق بفتح الباء وكسرها فارسي معرب . (ابيد) همزة مكسورة كسراً غير بين ، وسكون الياء وهو يمد فيل بمعنى فاعل ، زادوا عليه الهمزة هرباً من الابتداء بالسكن . (ينلزم) بفتح الياء وسكون التون وكسر اللام والزاء وسكون الميم وهو مضارع انلزم انفسل من لزم ، ولزم في اللغة يأتي بمعنى ثبت ودام واما العوام فيسعملونه بمعنى مسك وقبض . وزادوا في اوله التون اشارة الى ما لم يسم فاعله ، فاتهم اذا ارادوا بناء الفعل للمجهول حملوه على وزن انفسل كما في قولهم انقتل ينقتل وانضرب ينضرب ؛ وليس عندهم بناء للمجهول في غير انفسل الاماندر . وهذا النادر هو وزن تفعل واقتعل .

والايد . اليد . وعدم بعد الزبيك كناية عن اضطرابه المتواصل وهي وجه التشبه وقد قصد ابو تمام هذا التشبيه في الزئبق ، فقال :

وتنقل من معشر في معشر فكأن امك اواباك الزئبق

واورده المتنبى في قوله :
ادرن عيوناً حاررات كأنها مركبة احداقها فوق زئفة

وهذا التشبيه يذكر لمن يكون قريب المثال وعزيز الحصول عليه وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه حالة بحالة . ومن هذه التشبيه الخاصة باهل العراق قولهم :

(الطول طول النخلة ، والعقل عقل الصخلة)

الطول : بكسر الالف كسراً غير بين ، وحذف اللام لفظاً ، وواو ولام ساكتين ، معروف ، طول ، بطاء مضمومة بعدها والساكنة يليها لام متحركة مشتركة هو ايضاً . بالمعنى المشهور . النخلة بالضبط المتعارف واللام المفخمة هي بمثابة المألوف . والعقل بالضبط المشهور ولفظ القاف الصريحة كافاً مثله فارسية واللام الساكنة . وعقل الثانية ، مثل الاولى مع تحريك اللام بحركة مشتركة والصخلة . وزان النخلة . مع فتح اللام في كلا اللفظين . والصخلة تصحيف النخلة وهي العنزة عند اهل العراق ، تأنيث السخل وهو التيس عندهم . والبحث عن ادراك الحيوانات وتعقلها امر لاحقته له الا عند اصحاب

الحرفات وواضح الامثال على السنة العجماوات . فاتهم قد فعلوا ذلك بفیه اصلاح الانسان لا غير . ومهما يكن من هذا الامر وآراء الماديين والروحانيين فيه، قاننا لا ننظر اليه هنا الا من جهته عند اهل البديع . فان هذا التشبيه يضم تشبيها آخر على حد طريقة التشبيه المركب في اصطلاح علماء هذا الفن . اما اول التشبيهين فلا يتضمن شيئاً يوجب الالتفات . واما الثاني ففيه فائدة لان العامة تقول : عقل صخيل ، وعقل اصخول (= صخول) وتريد به احد الوجهين . وهما : اما لان المعز اشتهرت عند العرب بالغبوة — وهو مما لم يثبت الواقع اثباتاً لا يبقى مجالاً للريب — فاتهم اذا ارادوا التعريض بجهله وظلمته عقله قالوا : هونيس . واذا ارادوا الغاية في الجهل والغبوة قالوا : ما هو الا نيس في سفينة . فاخذت ذلك العامة وشبهت به البليد . — واما انهم يطلقون لفظ الصخل ولا يستعملونه في معناه الحقيقي بل هو طرية عندهم للزنجي لما بين لوني هذين المخلوقين من المشابهة في اللون . او لتوحش الزنوج وهمجيتهم .

وهذا التشبيه يساق لمن كبرته المناظر، وصغرته الخبايا، فالرائي يرى المرئي طوله كطول النخلة وعند الاختبار لا يرى فيه من العقل ما يزيد على عقل السخلة . وقد حذفت العامة اداة التشبيه واقامت المصدر مقامها كما في قواهم : تمر مر السحاب . ومن تشابههم قولهم :

(مثل البعير، يشيل شكر، وياكل عا كول)

(ضبط الالفاظ ومعانيها) البعير ، بكسر الباء عندهم دائماً ولا يفتحونها البتة . وهي لغة قديمة في العراق وغير هذه الديار . قال عمر بن خلف بن مكى : وكل فصيل وسطه حرف حلق مكسور ، يجوز فيه كسر ما قبله ، او كسر فائه اتباعاً للعين في لغة نعيم ، كشعر ورحيم ورغيف وما اشبه ذلك، بل زعم الليت : ان قوماً من العرب يقولون ذلك وان لم تكن عينه حرف حلق ككبير وجليس وكريم . . . — والبعير للذكر من الابل . ويسمون الانثى ناقة (بلفظ القاف كفا فارسية مثلثة) وبعيرة .

(يشيل) مضارع شال ومنها عندهم رفع وحمل . وهي مأخوذة عندهم

من شالت الناقة بذنبا : رفته . وشال الذنب نفسه اى ارتفع متعدي ولازم .
 (شكر) سكر . وهى لفظة قديمة فى الفارسية من اصل سنسكرتى .
 والسكر عند الفرس قسمان : قسم طيبى وهو ماء القصب (وقصب السكر
 وهو البلوج وهذه ايضا من اصل فارسي واللفظة العربية هى المصاب ، بضم
 الميم .) وقسم صناعى ، وهو يكون اجزاء صغيرة متبلورة ذات اشكال هندسية
 مختلفة الهيئة من مثثة ومربعة ومستطيلة . ولم نجد لكلمة سكر مرادفاً
 عربياً صرفاً فى ما وصلت اليه ايدينا من الكتب . ولا جرم انها دخلت
 لغتنا باحتكاك اساء العرب بابناء الفرس . وشكر (وزان سبب) تخفيف شكر
 الفارسية (وزان زفر وقبر اى بضم وفتح فى الاول . وضم وفتح بتشديد
 فى الثانى) (وياكل) غير مهموزة وهى لغة قاشية عندهم . (وماكول)
 بكاف مثناة النقط او قاف هو العاقول ، النبات الشائك المشهور الذى تاكله
 الابل وهو دائم الخضرة ينبت فى الارضين الرملية وعلى ضفاف الانهار .
 وجميع الفاظ هذا التشبيه ساكنة الاخرى الا كلمة (مثل) فليكون
 وراها ال التعريف تحرك بحركة مختلصة مشتركة اللفظ بين العكس
 والضم .

يساق هذا التشبيه لمن يجلب المال الكثير بانواع الكسب ؛ وعليه فهو
 « يشيل شكر » ويقنع بالعيش البويل فهو « ياكل ماكول » . وهذا من باب
 تشبيه غير المحسوس بالمحسوس وتشبيه حالة بحالة وكأن لغتنا الفصحى لم ترض
 لاختها الانفراد بهذا التشبيه فشاركها بقول الشاعر :

كالميس فى اليد آ يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول
 النجف
 (عش)

باب المبتدأة والانتقاد

١. سبل الرشاد (مجلة بغدادية)

« مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية » ، تصدر فى الشهر مرة